

البداية والنهاية

واستقيموا فوالله لأذيقنكم الهوان حتى تدروا ولأعصبنكم عصب السلمه حتى تنقادوا واقسم بالله لتقبلن على الانصاف ولتدعن الارجاف وكان وكان وأخبرنى فلان عن فلان وإيش الخبر وما الخبر أو لأهبرنكم بالسيف هبرا يدع النساء أيامى والاولاد يتامى حتى تمشوا السمهى وتقلعوا عن هاوها فى كلام طويل بليغ غريب يشتمل على وعيد شديد ليس فيه وعد بخير .

فلما كان فى اليوم الثالث سمع تكبيرا فى السوق فخرج حتى جلس على المبر فقال يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق ومساوى الأخلاق إنى سمعت تكبيرا فى الأسواق ليس بالتكبير الذى يراد به الترغيب ولكنه تكبير يراد به الترهيب وقد عصفت عجاجة تحتها قصف يا بنى اللكيعة وعبيد العصا وأبناء الأماء والأيامى ألا يربع كل رجل منكم على طلعه ويحسن حقن دمه ويبصر موضع قدمه فأقسم بالله لأوشك أن أوقع بكم وقعة تكون نكالا لما قبلها وأدبا بعدها قال فقام إليه عمير بن ضائب التميمي ثم الحنظلي فقال أصلح الله الأمير إنا فى هذا البعث وأنا شيخ كبير وعليل وهذا ابنى هو أشب منى قال ومن أنت قال عمير بن ضائب التميمي قال أسمعت كلامنا بالأمس قال نعم قال ألسن الذى غزا عثمان بن عفان قال بلى قال وما حملك على ذلك قال كان حبس أبى وكان شيخا كبيرا قال أوليس هو الذى يقول ... هممت ولم أفعل وكدت وليتنى ... فعلت ووليت البكاء حلايلا

ثم قال الحجاج إنى لأحسب أن فى قتلك صلاح المصرين ثم قال قم إليه يا حرسى فاضرب عنقه فقام إليه رجل فضرب عنقه وانتهب ماله وأمر مناديا فى الناس ألا إن عمير بن ضائب تأخر بعد سماع النداء ثلاثا فأمر بقتله فخرج الناس حتى ازدحموا على الجسر فعبر عليه فى ساعة واحدة أربعة آلاف من مذبح وخرجت معهم العرفاء حتى وصلوا بهم إلى المهلب وأخذوا منه كتابا بوصولهم إليه فقال المهلب قدم العراق والله رجل ذكر اليوم قوتل العدو ويروى أن الحجاج لم يعرف عمير بن ضائب حتى قال له عنبة بن سعيد أيها الأمير إن هذا جاء إلى عثمان بعد ما قتل فلطم وجهه فأمر الحجاج عند ذلك بقتله .

وبعث الحجاج الحكم بن أيوب الثقفى نائبا على البصرة من جهته وأمره أن يشتد على خالد ابن عبد الله وأقر على قضاء الكوفة شريحا ثم ركب الحجاج إلى البصرة واستخلف على الكوفة أبا يعفور وولى قضاء البصرة لزرارة بن أوفى ثم عاد إلى الكوفة وحج بالناس فى هذه السنة عبد الملك بن مروان وأقر عمه يحيى على نيابة المدينة وعلى بلاد خراسان أمية بن عبد الله وفى هذه السنة وثب الناس بالبصرة على الحجاج وذلك أنه لما ركب من الكوفة بعد قتل عمير بن ضائب قام فى أهل البصرة فخطبهم نظير ما خطب أهل الكوفة من الوعيد والتشديد والتهديد

